



المجلة الأردنية في القانون والعلوم السياسية

اسم المقال: أبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية

اسم الكاتب: د. المعتصم بالله أحمد الخلايلة

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/index.php/library/8066>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/13 18:58 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع المجلة الأردنية في القانون والعلوم السياسية جامعة مؤتة ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



أبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية

د. المعتصم بالله أحمد الخاليلة *

تاريخ القبول: ١٠/١٠/٢٠١٨م.

تاريخ تقديم البحث: ٢١/١٢/٢٠١٧م.

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى أثر ظاهرة العولمة الثقافية في هوية المجتمع العربي من خلال انتشار الأفكار والرؤى والمعتقدات الغربية والأمريكية، وذلك بعد انهيار النظام الاشتراكي الشيوعي، حيث تناولت مشكلة الدراسة أثر أبعاد العولمة الثقافية في الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية، وقد أتبع منهج النظم لديفيد ايستون للنظر في مدخلات العولمة ومخرجاتها الثقافية على الهوية العربية، وتمثلت أهمية الدراسة بالنظر إلى المظاهر التي بثتها العولمة الثقافية على المجتمع العربي من خلال اتباع السلوكيات الغربية التي أدت إلى تغيير المنهج الثقافي لدى أفراد المجتمع العربي. فقد توصلت الدراسة إلى نتائج سلبية وإيجابية تأثيراً كبيراً في ثقافة المجتمع العربي، التي أدت إلى انتزاع دور القيم الأخلاقية والعادات والتقاليد العربية في تأكيد الهوية العربية وتأصيلها من جهة، وإلى غرس بعض المفاهيم الحديثة التي زادت من قدرة الفرد العربي في التواكب مع التطورات الحديثة من جهة أخرى. وقد أوصت الدراسة إلى ترسيخ دور المؤسسات التعليمية، والأسرة، والقيم والعادات العربية الاصلية للحفاظ على الهوية العربية.

الكلمات الدالة: العولمة الثقافية، الهوية العربية، الأحادية القطبية، الأبعاد.

* قسم العلوم السياسية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة.
حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

The Impacts of Cultural Globalization on Arab Identity During Unipolar era

Dr. Motasem Khalaileh

Abstract

This study aims to clarify the effect of the cultural globalization on the Arab identity in the Arab society through the overspread of the western and American thoughts. The problem with the study deals with the impacts of the cultural globalization and its effects on the Arab identity during the era of unipolarity. The study used the system Approach of David Easton to show the inputs and outputs of the cultural globalization on the Arab identity. The importance of the study is representing the materialist and incorporeal aspects that here have been transmitted by cultural globalization own out of society by following western behaviorism which causes changes to cultural approach for Arab society persons. The study reached many positive and negative results that have big effects on the culture of the Arab society, As a result it affects the Arab moral aspects, mores, and its traditions. On the other side, the study shows the positive side of the globalization where it instills finally the many modern life study shows the importance of stabilization the roles of education institutions, Family, Arabic traditions To save Arab identity.

Keywords: Cultural globalization, Arab identity, Unipolarity, Impacts.

المقدمة:

تميز النظام العالمي منذ بداية تسعينيات القرن المنصرم بمجموعة من السمات التي أدت إلى ظهور مفهوم العولمة بمعناها الحقيقي، فمع انهيار المنظومة الاشتراكية الشيوعية للاتحاد السوفيتي انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على العالم، مما وفر لها الأرضية المناسبة لنشر أيديولوجياتها السياسية والاقتصادية والثقافية، فبدأت الولايات المتحدة الأمريكية بنشر ثقافتها للمجتمعات العالمية بشكل كبير، وذلك من خلال أدواتها التكنولوجية ووسائل اتصالها الحديثة التي أثرت في هوية المجتمعات الأخرى وثقافتها، ولا سيما المجتمع العربي منها.

بدأت العولمة تؤثر في المجتمعات في شتى النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، ولكن ما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات أنها تناولت تأثير العولمة الثقافية في المجتمع العربي خاصة، والسبب في ذلك هو أن العولمة السياسية تؤثر في نظام دولة عربية ما تأثيراً قد لا يطال أفرادها، أما العولمة الاقتصادية فهي توحيد كلي للأسواق العالمية والسيطرة على إنتاج الدولة واستهلاكها، أما العولمة الثقافية -مدار هذه الدراسة- فليست تغييرات في الأنظمة الدولية، ولا في الثروات الاقتصادية بل هي تغييرات عقلية فكرية لا مادية، حيث التأثير في الأفكار والمعتقدات والأيدولوجيات، والرموز الثقافية المجتمعية من النواحي الدينية والقيم والعادات، وذلك من خلال الإقناع والإيمان والانتساب إلى ثقافة الغير (ليكر، ٢٠٠٤، ١٩-٢٠).

ويبدو أن ثقافة العولمة وما تحمله من معانٍ قد تمهد إلى تأسيس نظام عالمي ينشر الثقافة والأدب واللغة، ومظاهر الحضارة، من أجل تكوين نخبة تحمل ثقافتها وتؤمن بها بديلاً عن الثقافات الوطنية والقومية، فتداخل الثقافات العالمية وتلاحقها قد شكل إحدى مظاهر التبعية الثقافية أو الغزو الثقافي والهيمنة عليه، الذي لا يخلو من مضامين أيديولوجية تختلف من حيث النوع والوسائل والآليات التي قد تحدث تحديات جسيمة على الهوية الشخصية الوطنية والثقافة المحلية (ربيع، ٢٠١٠، ١٤١).

يُعدّ المجتمع العربي من أكثر المجتمعات العالمية التي تقبلت العولمة الثقافية؛ إذ انتشرت ظاهرة العولمة بين أفرادها، التي تجلّت نتائجها في اختراق الهوية العربية، ونزع الفكر العربي من التأثير الأيدولوجي، والمعتقد الديني والخلقي المصحوب بالقيم والعادات والتقاليد العربية الأصيلة إلى حالة من الحداثة التي تتنافى مع المنظور الديني والقيمي الأخلاقي العربي، ومن ناحية أخرى ينظر البعض إلى أنّ العولمة الثقافية قد زادت من قوة المجتمع العربي، وجعلته أكثر مدنيّة واندماجاً مع الأطر الليبرالية الحديثة (حجازي، ٢٠٠٣، ١٠).

بناءً على ما سبق، يمكن الكشف عن أثر العولمة الثقافية في الهوية العربية بتناول مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي تبحث التأثير في (المعتقدات الدينية، والأفكار والأيدولوجيات المختلفة، والقيم والعادات والتقاليد العربية).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة البحث في الآثار التي تتركها أبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية، وبذلك تتمحور مشكلة البحث بالسؤال الرئيس التالي: ما الآثار التي تتركها أبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية هي:

- ١- ما أبعاد العولمة الثقافية المؤثرة في الهوية العربية؟
- ٢- ما الواقع الذي عليه الثقافة العربية؟
- ٣- ما أثر العولمة الثقافية في الهوية العربية؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- بيان أبعاد العولمة الثقافية المؤثرة في الهوية العربية.
- ٢- توضيح الواقع الذي تمثله الثقافة العربية.
- ٣- التعرف على الآثار التي تتركها أبعاد العولمة الثقافية في الهوية العربية.
- ٤- إبراز الإيجابيات والسلبيات لأبعاد العولمة الثقافية مع بيان كيفية تفادي السلبيات وتضخيم الإيجابيات في الواقع العربي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تتبعها لأبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية، وبالتالي يمكن تقسيم أهمية الدراسة إلى أهمية علمية وأخرى عملية، وذلك على النحو التالي:

- أ- الأهمية العلمية: تتبع الأهمية العملية من دراسة أبعاد العولمة الثقافية وتأثيرها على الهوية العربية، في ضرورة وضع الخطط اللازمة لتلافي سلبيات العولمة وأثارها على الهوية العربية، مما يؤدي إلى حماية المجتمعات العربية والحفاظ عليها من الإنزلاق في دروب العولمة الثقافية، والمؤدية في نهاية المطاف إلى طمس الهوية العربية، وكذلك إعداد مخططات وبرامج للأستفادة

من إيجابيات العولمة الثقافية في مجال إنعاش الهوية العربية والارتقاء بها إلى مصاف العالمية، مثل تلك التي ارتقت وسلكت دروب العالمية.

ب- الأهمية العملية: تأتي هذه الأهمية من خلال تناول واقع العولمة الثقافية، ومدى تأثيرها في الهوية العربية، والآثار الناجمة عن هذا التأثير. ومن ثمّ الوصول إلى أسس علمية ونظرية وقانونية تساعد في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، ومنحها القوة لمقاومة الآثار السلبية للعولمة الثقافية على الهوية العربية.

فرضية الدراسة:

تتمثل الدراسة بفرضية رئيسية تسعى إلى اختبارها، حيث أثرت العولمة الثقافية بمدخلاتها في الهوية العربية سلبا وإيجابا، أما الفرضيات الفرعية فهي كما يلي:

١- هناك علاقة طردية بين العولمة الثقافية وتراجع الهوية العربية من جهة، والنضوج الفكري الثقافي العربي من جهة أخرى.

٢- تؤدي بعض المتغيرات الداخلية والخارجية دورا مهما في تحديد طبيعة العلاقة بين العولمة الثقافية والهوية الثقافية العربية.

منهجية الدراسة:

تعتمد منهجية الدراسة بشكل أساسي على منهج ديفيد أيستون الذي يقوم على نظام المدخلات والمخرجات والعمليات والتغذية الراجعة. وسيطبق هذا المنهج على دراسة أهم المدخلات على الهوية الثقافية العربية: (التطور العلمي والتكنولوجي، ووسائل الإعلام، والفضائيات، والإنترنت، والمراكز الثقافية)، وكيف تعاملت معها دائرة التفاعل للهوية العربية: (الدين واللغة، والعادات والتقاليد، والفنون والعلوم والآداب)، وهل استطاعت الثقافة العربية أن تستوعب الثقافة الغربية، وأن تقتبس منها شيئا إيجابيا للقيم الدينية والعادات والتقاليد، أم أن هذه المدخلات أثرت بشكل ملموس في هوية المجتمع العربي فجعلته غير قادر على الحفاظ على هويته وثقافته، مما سبب انحسار الثقافة العربية بين أفراد المجتمع العربي.

الدراسات السابقة:

تواجه الدراسات المتعلقة بالعولمة الثقافية وتأثيرها في المجتمع العربي إشكالية كبيرة؛ إذ أنها لم تحصر بشكل محدد الأثر الحقيقي للعولمة الثقافية على الفرد العربي، ولكنها تناولت الموضوع بخطوط عريضة وسريعة لم تقدم على أي حال أن حددت الآثار السلبية والأيجابية للعولمة الثقافية على المجتمع العربي، كما أن منها ما أشار إلى التأثير في الدين واللغة العربية والقيم والعادات والتقاليد المجتمعية

العربية، فهي دراسات أسهمت من حيث المنظور العلمي والأدبي لتأثير العولمة الثقافية على الهوية الثقافية للمجتمع العربي، ومن هذه الدراسات:

أولاً: الكتب

- دراسة زاهر، ضياء الدين (٢٠١٧) ((اللغة ومستقبل الهوية العربية)): تناولت هذه الدراسة أثر العولمة في اللغة العربية وتأثيرها على الهوية العربية، وذلك من خلال أساليب حديثه تتبعها العولمة لتتقيد الأفراد في عمر مبكر ببعض التعاليم والقيم الغربية من خلال وسائل الإعلام الحديثة، وتوصلت الدراسة إلى أن العولمة أثرت بشكل إيجابي وسلبي في اللغة العربية، حيث أدت إلى نشر التقنية الحديثة لاكتساب اللغة، وتسهيل الحصول على المعلوماتية الحديثة، ومن جهة أخرى أدت إلى وجود فجوة واسعة بين الفرد العربي وقدرته في كسب قيم اللغة العربية مما يولد شكاً في مستقبل هوية هذه الدول.

- دراسة الوائلي، عامر (٢٠١٦) ((الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع)): بحثت هذه الدراسة في الإلتزام الديني للمجتمعات، وأهم المرتكزات التي ترتكز عليها الهوية العربية، وكيفية الحفاظ على الثقافة الدينية داخل المجتمع العربي، وذلك من خلال إعادة التفكير العلمي والفلسفي في موضوعات الهوية الدينية، والعمل على بناء الوعي الثقافي للمجتمع العربي، وذلك للتأثير في القيم الروحية لدى الأفراد، حيث توصلت الدراسة إلى أن المجتمع العربي محدود الهوية، وذلك لقدره الثقافات الغربية في تحجيم دور الدين في حياة المجتمع العربي.

- دراسة ربيع، محمود (٢٠١٠) ((الثقافة وأزمة الهوية العربية)): تحدثت هذه الدراسة عن الدور الثقافي والحضاري للمجتمعات الإنسانية، وحددت من خلال الدراسة دور الأعراف والتقاليد المشتركة للمجتمع العربي في الحفاظ على التفاعل السياسي والاجتماعي في المجتمع، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك فجوة ثقافية في الفهم الواقعي لمفهوم الهوية لدى الفرد العربي، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأمية الثقافية للمجتمع العربي بفهمه لمعاني الإلتزام لهويته، وذلك من خلال اكتساب المجتمع العربي بعض المفاهيم الغربية التي حدثت من ذلك.

- دراسة حربي، خالد (٢٠١٠) ((العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي)): تعمقت هذه الدراسة في الحديث عن عالمية الإسلام ودور العولمة الغربية في التأثير في عقيدة المجتمع العربي والإسلامي من خلال الجانب الثقافي، تحدثت الدراسة أيضاً عن التأثير المعرفي لمفهوم العولمة الغربية عند الفرد الإسلامي، حيث توصلت الدراسة إلى أن العولمة الثقافية قد أدت إلى تغيير في الأنظمة الإسلامية العربية وغير العربية في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

ثانياً: الدوريات

- دراسة جبر، نهلة (٢٠١٦) ((الأمن الثقافي: مفهوم ودواعية وعوامل تحقيقه)): تحدثت هذه الدراسة عن مفهوم الأمن الثقافي وأهميته في المجتمع العربي، حيث حددت متطلبات لتحقيق الأمن الثقافي العربي كالحفاظ على قيم الدين والعقيدة واللغة العربية والأخلاق وتنمية الوعي ونشر روح المواطنة بين أفراد المجتمع العربي، فتوصلت الدراسة إلى أن هناك محددات أثرت في المفهوم الثقافي العربي، كالغزو الثقافي الغربي للقيم والمعتقدات العربية، وتحديدًا من خلال وسائل التكنولوجيا الإعلامية الحديثة التي أفرزت جيلاً مكتسباً للقيم الغربية مما يهدد التاريخ العربي الحضاري والثقافي.
- دراسة السويدي، جمال (٢٠١٦) ((قضايا الهوية في الإسلام المعاصر)): أفرزت هذه الدراسة مفهوماً جديداً للهوية العربية، وذلك من خلال اتباع مراحل تطورها في السياقات التاريخية، حيث تناولت علاقة العرب بالغرب في تلك المرحلة التي كان للعرب دور واضح في تغيير الهوية الغربية، وذلك من خلال إدخال بعض الإصلاحات على هويتهم، فتوصلت الدراسة إلى أن هذه الإصلاحات قد تغيرت وانعكست جلياً في ظل التطورات التي يشهدها العالم العربي، وقدرة الغرب على تغيير موازين الإصلاحات للهوية العربية لتوائم ثقافتهم وقيمهم وعاداتهم.
- دراسة التويجري، عبد العزيز (٢٠١٥) ((الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي)): اختلفت هذه الدراسة عن الدراسات التي تم ذكرها سابقاً، إذ حددت هذه الدراسة مفهوماً جديداً لإيجابيات العولمة على الهوية الثقافية العربية، حيث تناولت هذه الدراسة دور العولمة الإيجابي إزاء الهوية العربية من خلال التطور والإبداع الثقافي وازدهار هويات الشعوب وما طورته من حوار راقٍ للأديان والحضارات، وقد توصلت الدراسة إلى أن تقارب الثقافات العربية والغربية أدى إلى وجود مجتمع انساني متميز في استقراره القانوني الإنساني والتعاون الدولي.
- دراسة الزغو، محمد (٢٠١٠) ((أثر العولمة في الهوية الثقافية للأفراد والشعوب)): تناولت هذه الدراسة أثر العولمة في الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، وذلك من خلال التطرق إلى مفهوم الهوية الثقافية باعتبارها الكيان الشخصي والروحي للفرد، وكيفية التعامل مع العولمة الثقافية الغربية، من خلال التركيز على دور الأسرة التربوي للحفاظ على القيم الثقافية للأبناء والاهتمام بدور المؤسسات التعليمية من المدارس والجامعات في إعداد المناهج الأمنية التي تعزز ثقة الإنسان العربي بنفسه وتكرس في ضميره معاني الهوية العربية والحفاظ عليها.

أهم ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأنها ستظهر تأثير العولمة الثقافية في الهوية العربية بثنتي أنواعها، والآثار التي ستولدها العولمة الثقافية على الهوية العربية سواء أكانت سلباً أم إيجاباً ومدى أبعاد هذا التأثير على الفرد العربي في ظل الظروف التي يعيشها من تخبط فكري وعقلي بين أتباع الكوكبة والعولمة الثقافية من جهة، أو تركها والحفاظ على قيمه وعاداته وتقاليدته في ظل إنجراف العالم وراء مفهوم الحداثة والتكنولوجيا.

تقسيم الدراسة:

قسمت الدراسة إلى أربعة محاور رئيسية، وهي على النحو التالي:

المحور الأول: العولمة الثقافية وماهيتها

المحور الثاني: واقع الثقافة العربية

المحور الثالث: أثر العولمة الثقافية في الهوية العربية

المحور الرابع: النتائج والتوصيات

المحور الأول: العولمة الثقافية وماهيتها

أولاً: مفهوم العولمة وأهدافها

يعتقد البعض أن مفهوم العولمة قد شاع ارتباطه بالجانب الاقتصادي، أو بالدراسات الاقتصادية الدولية وحدها، غير أنّ مفهوم العولمة في الواقع قد يغطي الجوانب الأخرى الاجتماعية والسياسية والثقافية، والناظر إلى ماهية العولمة قد يرى أنّ المفهوم غير محدد، فمثله مثل العديد من المصطلحات في مختلف العلوم الانسانية التي لم يتم الاتفاق عليها بوجود تعريف جامع لها، والسبب في ذلك هو حداثة هذه الظاهرة التي تزداد بالتأثير في المجتمعات يوماً تلو الآخر، إضافة إلى تأثيرها في جوانب الحياة سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، وتأثيرها في الثقافات واللغات والأديان والقيم والمعتقدات والتقاليد بين الشعوب، بناءً على ذلك سنوضح بعض التعريفات التي تقدم مفهوماً واضحاً للعولمة بشكل عام، والعولمة الثقافية بشكل خاص.

يرجع أصل كلمة العولمة إلى الكلمة الانجليزية *globalizathion* التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، المشتقة من كلمة (*globe*) التي تعني الكرة، ويقصد بها الكوكبة، أي الاندماج في السياسية والاقتصاد والثقافة والسلوك دون أي اعتبار للحدود السياسية للدول ذات السيادة على وجه العموم (عويمر، ٢٠١١، ٤٧٨).

وتعددت المدلولات لتعريف مفهوم العولمة، فمنهم من عرفها بأنها تطور في سياق المراحل التي تمر بها الحضارات الإنسانية، فهي أحد أشكال الهيمنة الغربية التي تعبر عن المركزية الأوروبية، وهي أيضاً ظاهرة شاملة مركبة لها أشكالها المتعددة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تهيمن عليها القطبية الأحادية الأمريكية على العلاقات الدولية (ليكر، ٢٠٠٤، ٤٨٣)، ومنهم من عرفها أيضاً بالتطور في اقتصاد السوق، ورفع الحواجز والحدود أمام حركة المال ومنع الدولة من التدخل بالنشاطات الاقتصادية واحتكار أسواق المال من قبل الشركات المتعددة الجنسيات (أمين، ١٩٩٩، ٢٠-٢١)، وأيضاً عُرِفَت العولمة بأنها نشر المفاهيم الديمقراطية الليبرالية وتعميمها، وتبني التعددية السياسية، والالتزام باحترام حقوق الإنسان، وحماية الإقليات (أبو إصبع، ٢٠٠٢، ١١٦).

يتضح من خلال هذه التعاريف أن العولمة تغطي في مفهومها مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فمن خلال تتبع هذه المعاني نجد أنها صبغة أمريكية يُفسح المجال لها لتعم العالم بأسره، ولعل باستطاعتنا أن نصل إلى مفهوم واقعي وشامل للعولمة وهو أنه الأمركة في الواقع، وجعل هذه الأمركة طابعاً عالمياً، واتباع الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً وسياسياً وثقافياً واجتماعياً في جميع مظاهر الحياة المادية الحضارية والفكرية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن جوهر العولمة يقوم على تدويل الطابع الأمريكي بين مجتمعات العالم أجمع ليسهل عليها التحكم والسيطرة على العالم وإيجاد نوع من الاستقلالية لتطبيق معتقداتها بين دول العالم، وإزاحة كافة الحواجز التي تقف عائقاً في وجهها لتشكل للعالم صورة واحدة في شتى الجوانب.

تشكل العولمة محورا أساسياً في شقيها السياسي والاقتصادي، ففي الجانب السياسي قد تتحدى العولمة مفهوم سيادة الدولة الوطنية، وذلك من خلال إيجاد شبكة من العلاقات فوق الوطنية، مما يؤدي إلى تراجع دور الدولة القومية ووظائفها ضمن نطاق معين، فالمبادئ الليبرالية الغربية من حرية وتعددية ديمقراطية للأفراد قد توجه شعوب العالم إلى دعوات أكثر مرونة من دعوات الدولة الوطنية مما يخفي سيادتها، وظهور مؤسسات عالمية فوق وطنية وفوق قومية تتحكم بمصير الدول (عويمر، ٢٠١١، ٤٧٨-٤٧٩)، أما الجانب الاقتصادي فقد يدعو إلى حرية انتقال الاستثمارات المالية، وتركيز الثروات في يد فئة قليلة على حساب الأغلبية، الأمر الذي سيفرق بدوره بين طبقات المجتمعات من خلال توجه الشركات العابرة للقوميات ومنفذيها نحو استغلال السوق وثورات الدول التي تستهلكها العولمة (جلال، ٢٠٠٩، ١٧).

بناءً على ما سبق، تسعى العولمة بأشكالها المختلفة لتحقيق أهداف قد تُعدّ في نظر البعض إيجابية وفي نظر الآخرين سلبية، وهي على النحو التالي:

- ١- ربط الإنسان بالعالم أكثر من ربطه بالدولة، وذلك لتسهيل القضاء على دور الدولة والمشاعر الوطنية، وربط العالم في وحدة واحدة تنطلق من منطلق المعلوماتية الحديثة.
- ٢- زيادة النفوذ السياسي للغرب نحو دول العالم الثالث وإتاحة الفرصه للاستعمار الإمبريالي لها ولممتلكاتها وخيراتها وفق نظرية البقاء للأصلح فلا بقاء للضعيف.
- ٣- السيطرة على الاقتصاد العالمي والتعامل المشترك بين الدول، وذلك من خلال فرض الشركات العابرة للقوميات في الفضاء الدولي، وتسهيل حركتها عن طريق حرية السوق، وتأمين مزيد من الأسواق للاستهلاك ومزيد من الثروات التي قد تسهم في زيادة دخول الدول في المنظومة الرأسمالية (جرادات، ٢٠١٢، ٧).
- ٤- إدخال العالم ضمن بوتقة الحركة السياسية والثقافية العالمية بما يتضمن مفاهيم ذات طابع عقديّ وانتماي كالديمقراطية والعلمانية والقومية، ومحاولة ربط المفاهيم السياسية بين الدول وجعلها أكثر عالمية مما يحترم حقوق الإنسان وكرامته.
- ٥- القضاء على التخلف الاقتصادي وتحويل الكيانات الاقتصادية الضعيفة الى كيانات مندمجة نحو السوق العالميّ وحماية الأنظمة الاقتصادية في الدول من الانهيار الاقتصادي وما يعترية من عوامل ضعف كالكساد والركود والتضخم الاقتصادي، من خلال المؤسسات الاقتصادية الدولية (حسين، ٢٠١٠، ٤-٥).

ثانياً: العولمة الثقافية ووسائلها

أما العولمة الثقافية فتعرف بأنها محاولة الاندماج والتقارب الثقافي بين الشعوب المختلفة وإزالة الفوارق الثقافية بينها ودمجها في ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة، تهدف إلى هيمنة ثقافة الأقوى على الثقافات الضعيفة من خلال تذويب ثقافة الآخر وتلاشيها ودمجها بثقافة عالمية واحدة (شومان، ٢٠٠٣، ١٤)، فهي مزيج من الثقافات الناجمة عن الاتصال الثقافي والاجتماعي، ولكنه بطريقة غير متكافئة (زام، ٢٠٠١، ١٤٣)، وهناك من عرفها بأنها نسق موحد من القيم يقوم على خرق الهوية القومية الوطنية من خلال الاستلاب والتهمين ومحاربة الهويات الثقافية وتجزئتها وسريان الفكر الأمريكي وخصوصيته داخل هذه المجتمعات (العابد، ٢٠٠٤، ١١١).

ولو نظرنا إلى تعريفات أخرى للعولمة الثقافية لوجدنا أن هناك من عرفها بأنها سيطرة ثقافة الغرب على الثقافات الأخرى من خلال الاستفادة من مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال، وبناء ثقافة كونية شاملة النشاطات الإنسانية المختلفة، هدفها صياغة مجموعة ملزمة من القواعد الأخلاقية الكونية

التي تركز على معاني الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان (حربي، ٢٠١٠، ٦١)، وعرفها آخرون بأنها طابع من الأفكار والقيم غير محدد بزمان، يقوم على إلغاء فكر الآخر، وجعل الثقافة المسيطرة هي الثقافة السائدة باعتبارها ثقافته انتقائية كونية، تقوم على تحرير الفكر الإنساني، والتجرد من الأصولية الدينية والعادات والتقاليد الرجعية (فارنبيي، ٢٠٠٣، ٥٨-٥٩).

قد يُلمحُ البعد الثقافي إلى مفهومين أو اصطلاحين رائجين هما: العولمة والعالمية، غير أنّ الفرق بينهما كبير؛ فالعولمة الثقافية تشير إلى تلك الثقافات التي تطورت وارتقت وتوقفت حتى وصلت الى مستوى عالمي مرموق، مع احتفاظها بصفات ذاتية وهويتها الخاصة بها، فالعالم يشيد بها ويقدر خصوصيتها فلذلك أصبحت ثقافة عالمية، إلا أن الأمر مختلف عندما نتحدث عن العولمة الثقافية، فهي رؤية انبثقت بكل قوة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وتبوء الولايات المتحدة الأمريكية المكانة الأولى بين دول العالم دعت من خلال هذه المكانة إلى توحيد ثقافات الأمم والشعوب وصفلها في بوتقة العالمية بهدف تذويب الحضارات والثقافات المتنوعة وطمس هوية الآخر (شومان، ٢٠٠٣، ٢٤).

فالعولمة الثقافية إذن لا تقوم على التكافؤ واحترام الثقافات الأخرى، بل إنها تدعو إلى إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم اجمع لتحديث انقسامات وتفكك في الأبنية الثقافية للشعوب فضلا عن محاولة تذويب معالم الثقافة الوطنية وإظهارها بمظهر العاجز، وذلك لنشر ثقافتها الدينية واللغوية ومبادئها وقيمتها الذاتية معتمدة بذلك على امتلاكها التطورات التقنية لانتشار ثقافتها (حربي، ٢٠١٠، ٥٩).

يتضح مما سبف أن أخطر ما تخترقة العولمة هو الجانب الثقافي لسعي العولمة الثقافية إلى وضع شعوب العالم في بوتقة فكرية واحدة تتبع أساساً من الفكر الثقافي الأمريكي الذي يقوم بدوره بسلخ الموروث الثقافي والحضاري للمجتمعات، ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ العولمة الثقافية مادية بحتة لا مجال فيها للروحانيات أو العواطف، ولا تتوافر فيها مساحة للمشاعر الإنسانية، ولا للعلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بالآخر.

واستناداً إلى ما ذكر سابقاً، فإن العولمة الثقافية للشعوب والمجتمعات لا تقوم إلا على ركائز ووسائل توظفها الدول المصدرة للعولمة لجني أهداف أكثر تقدماً، وهي على النحو التالي:

- ١- التطور والتقدم التكنولوجي والتقني في مجال الاتصالات، حيث أدى هذا التطور إلى سيطرة الهوية الغربية وهيمنتها على هويات وثقافات شعوب العالم نتيجة غلبه الهوية الثقافية التي تمتلك الأساليب والوسائل للتأثير في هوية الغير.
- ٢- وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة، ويقصد بها الإذاعات السمعية والصحف اليومية والجراند وما لها من تأثير بالغ القيمة في الهوية الثقافية للشعوب، والسيطرة أيضاً على التأليف والنشر، وفسح

- المجال أمام أصحاب الأفكار والعقول والكتاب الغربيين لنشر أفكارهم واتجاهاتهم (زغو، ٢٠١٠، ٩٥-٩٦).
- ٣- السيطرة على الفضائيات، حيث تقوم الفضائيات بدور كبير في الحياة الثقافية للشعوب من خلال الأقمار الصناعية والتلفزيون الذي يفضي أفراد العائلة إلى تقبل القيم التي تحملها هذه القنوات والدفاع عنها، فصاحب هذه الفضائيات هو من يسيطر على قيم وعادات الشعوب الأخرى بفرض سيطرة هويته الثقافية (دجاني، ١٩٩٤، ٢٥٣).
- ٤- تُعدّ شبكة الإنترنت من أهم الوسائل التي تهدم ثقافات الشعوب الأخرى، إذ إنها أصبحت وسيلة هامة ومتاحة لنقل الأفكار والمعلومات الثقافية من خلال الصور والأفلام التي أطاحت بمعالم الهوية الثقافية الخاصة بالشعوب والأفراد، وما شكلته من تشرذم الأخلاق الفاضلة، فمهمة الدول المسيطرة على هذه الشبكة هو تغيير وجهة الرأي العام الثقافي في الدول لصالحها (القاسم، ٢٠٠٤، ٤٦٨-٤٦٩).
- ٥- قدره على نشر المراكز الثقافية بكافة دول العالم وما تنفقه الدول المسيطرة على العولمة من نشاطات كالبعثات التعليمية لفئات الشباب، ودعم النشاطات التنموية للبدان التي تغزوها العولمة الثقافية لاسيما البلدان النامية، بالإضافة إلى العمل على نشر اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية (يايسن، ٢٠١٢، ٤٨).
- أصبح واضحاً لنا أنّ العولمة الثقافية قد تتداخل مع العولمة الاقتصادية، فالجانب التكنولوجي والتقني لها قد يعطي تطوراً مذهلاً لانتشار الثقافات الخاصة لمن يمتلك هذه التقنيات، ونشرها إلى شعوب العالم، فمن يمتلك النسبة الأكبر من وسائل الإعلام التي تصل إلى ٦٥%، والأقمار الصناعية في الفضاء بنسبة ٩٥%، وعلى ثلاثة أرباع الشبكة العنكبوتية، يكون أكثر قدرة على نشر هويته وثقافته بين شعوب العالم وبلا شك الولايات المتحدة الأمريكية.

المحور الثاني: واقع الثقافة العربية

تعدّ الهوية العربية نابعةً من هويتنا الثقافية بغض النظر عن الاختلاف الأصولي لها، فالثقافة العربية درع واقٍ أمام المحاولات الغربية على مرّ التاريخ منذ العهد الإسلامي الأول وما تبعه من خلافات إسلامية وصولاً إلى عصرنا هذا، الذي تظهر فيه هيمنة الثقافة الغربية وسيطرتها على المجتمع العربي، وذلك من خلال تغيير هويته واختراقه الفكري واللغوي والثقافي، وإجبار هذا المجتمع على التواكب مع مظاهر ثقافتهم.

ترجع كلمة الثقافة لغوياً بمعنى التهذيب والتقويم، واستعملها آخرون بمعنى الحدق والفتنة، ووردت بمعنى آخر يرتبط بمعنى الوجود، وهناك من عرفها بالتمكن والغلبة، أما اصطلاحاً فهي مجموعة من الخصائص التي تميز حياة الجماعة في الجوانب المادية والمعنوية عن غيرهم من قيم وعادات (مرسي، ١٩٩٥، ٢٨)، فالثقافة هي تراث المجتمع وحضارته، وما تميز به مجتمع ما في سلوكه وقيمه الفكرية لمختلف أفرادها، فأصالة المجتمع وهويته هما قيمتان اجتماعيتان تتبثقان من تراثه وعقائده وقيمه (شومان، ٢٠٠٣، ٤١-٤٢).

أولاً: مكونات الثقافة العربية

تشكل المعتقدات، والقيم، والعادات، والتقاليد، والهوية الدينية واللغوية، والجوانب الفكرية الجوهر الأساسي للثقافة العربية، كما تشكل التطلعات وما يرتبط بها من سلوكيات اجتماعية ومراعاة التقاليد المتوارثة والتعامل مع القوانين المختلفة التي تسنها الدولة عناصر مهمة في جوهر الثقافة العربية (ربيع، ٢٠١٠، ١٨٧)، فالثقافة العربية اتسمت مع تداولها في مختلف العصور بأنها ثقافة ذات هوية محددة تميزها عن غيرها. فلا وجود للثقافة بمجتمع ما إلا بوجود ما يميزها وإلا أصبحت باطلة، فالعلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى والحوار الثقافي بين الثقافات الأخرى، يعطي الثقافة العربية نوعاً من التميز، وهذا الاختلاف الثقافي العربي عن الثقافات الأخرى قد يُعزي إلى أنها ثقافة ذات منهجية فكرية تقاليدية متميزة (الوائلي، ٢٠١٧).

تختلف المكونات الثقافية من مجتمع لآخر، فلو نظرنا إلى مكونات الثقافة العربية لوجدناها متنوعة وعديدة، حيث إنها أسهمت في مجملها في جعل الثقافة العربية ذات صبغة علمية تربية لها مكانتها بين الثقافات العالمية، ومن أبرز هذه المكونات ما يلي:

أولاً: الدين: يحتل الدين جانبا كبيرا ومؤثرا في التكوين الثقافي العربي، حيث ظهرت على الأرض العربية الديانات السماوية الثلاث - الإسلام والمسيحية واليهودية- حيث جاء الدين الإسلامي الذي ينتمي إليه ما يقارب ٩٠% من المجتمع العربي ليقدم صورة جديدة ومتكاملة من العبادات: كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ومن المعاملات: كالآداب بسائر أنواعها، والأخلاق، والمعاملات مع الناس، والمعاملات مع الأهل، فالدين يُعدّ الركيزة الأساسية للثقافة العربية التي يغلب عليها فكر الفرد العربي (عبد الغني، ٢٠٠٣، ٧٢-٧٣).

ثانياً: اللغة: اللغة العربية اللغة السائدة في المجتمع العربي، فهي القاسم المشترك الذي يميز الأمة العربية عن غيرها من الأمم، وهي أول ما نطق به الإنسان كلغة على لسان آدم عليه السلام، فيعود أصل أغلب لغات العالم إلى اللغة العربية، فالعبرانية والفارسية والأوردو والتركية جميعها مستمدة من أصول لغوية عربية، فضلاً عن أنّ بعض الباحثين يميل إلى أن العربية أصل اللغات

السامية برمتها، وهي لغة القرآن الكريم المنزل من الله عز وجل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واللغة العربية من اللغات الرسمية المعترف بها في الأمم المتحدة، فاللغة تعدّ الفيصل الذي يميز مجتمع ما عن غيره (عويمر، ٢٠١١، ٤٧٦).

ثالثاً العادات والتقاليد والاتجاهات: تعتبر العادات والتقاليد من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الثقافة العربية، فالسلوكيات التي يتبعها الأفراد والطقوس السائدة في المجتمع، وبعض المعاملات الخاصة والأحكام الثابتة على بعض السلوكيات الحسنة أو الرديئة والطيبة منها أو القبيحة ما هي إلا عادات وتقاليد يتسم بها المجتمع العربي والتي يمارسها الفرد العربي في حياته، فهي مجموعة طويلة من حصيلة التجارب في حياة الناس، وتصرفات الأشخاص وسلوكهم وأفكارهم ومعتقداتهم التي تترك الأثر الكبير على عادات وتقاليد مجتمع ما (مرسي، ١٩٩٥، ٤٨).

رابعاً: الفنون والآداب والعلوم وسائر أنواع المعرفة: وهي من أهم السمات الأساسية لثقافة مجتمع ما، فالمجتمع العربيّ يتميز بسمات الأدب والشعر العربيّ، والنثر، والفن التشكيلي الإسلاميّ وفنون العمارة الإسلامية، وعلوم اللغة والفقه والقرآن وعلوم الحديث والعلوم الطبيعية، كالطب والرياضيات والعلوم الإنسانية كالفلسفة والاجتماع والاقتصاد، فهذه المعارف والعلوم والفنون تعطي المجتمع العربيّ مكوناً خاصاً، له أسسه التي تميزه عن غيره من المجتمعات حتى لو وجدت هذه العلوم في المجتمعات الأخرى (عبد الغني، ٢٠٠٣، ٧٤).

تعدّ الثقافة خاصية مميزة تميز مجتمعا عن غيره، فالناظر إلى الثقافات العالمية المختلفة يرى بينها اختلافاً في قيمها وخصائصها وماهيتها وواقعها، فالثقافة العربية سمة خاصة تميز المجتمع العربي عن غيره، فلا بد قبل الحديث عن واقع الثقافة العربية من أن نؤكد أنّ هذه الثقافة ليست فقط مسؤولية منطري الثقافة العربية وكتابها وأدبائها، بل هي مسؤولية كل فرد عربيّ؛ لأنها مسألة تخص أمنه القومي العربي والإسلامي، وبالتالي يجب علينا نحن العرب أن ننتقد بهذه الثقافة ولا نهجرها، وأن ندافع عنها في إعلامنا المسموع والمرئي وبالأقلام الجريئة التي تكتب من نبض الأمة وتاريخها وتحيد الأقلام المأجورة وتنتقدها.

ثانياً: تحديات الثقافة العربية

الثقافة العربية كانت ضمن الثقافات العالمية الثلاث القديمة السائدة: العربية واليونانية والعبرية، حيث اهتم بها العرب ونظموا من خلالها هوية خاصة بهم ولأدبائهم وعلمائهم، حيث يشهد التاريخ الحضاريّ العربيّ ما تميزت به القبائل العربية من قيم وعادات ومعتقدات متماسكة، التي زاد من تماسكها ظهور الإسلام (العقاد، ٢٠١٣، ٧)، فمع ظهور الإسلام زادت نسبة التمسك بالمنظومة الثقافية العربية فكان مزيد من الاهتمام بالدين واللغة العربية التي توسعت واشتهرت في تلك الفترة، والتمسك بالقيم والعادات

العربية الأصيلة، والتخلي بصفات الخلق والتربية؛ فكان الغرب والعجم يفدون إلى المدارس والمراكز العلمية العربية للتعلم والأخذ بالثقافة العربية والاستفادة منها. ولكن مع القرن الحادي عشر ميلادي ومع ظهور الحملات الصليبية تراجعت الثقافة العربية. ثم عاد الإبداع الثقافي بعد ذلك فاشتهر العرب بعلوم الطب والفلك والرياضيات مما دفع شعوب العالم إلى الاطلاع على هذه العلوم والمعارف الثقافية العربية، ثم عاد الانتكاس مرة أخرى مع ظهور الدول القومية في أوروبا وحملات نابليون على المنطقة العربية في ظل الحكم العثماني (عبد الملك، ١٩٩٣، ٣٣-٣٤).

زادت السياسات الاستعمارية التي كانت تنتزعمها بريطانيا وفرنسا في القرن العشرين من إضعاف الثقافة العربية، فالسياسات التي كانت تتبعها هذه الدول في تجزئة البلدان العربية ومنع استقلالها قد زادت من انتقال المجتمعات العربية إلى التبعية (حجازي، ٢٠٠٣، ١٢٧)، فالناظر إلى حال الغزو الغربي على الدول العربية يعلم بأنه أسهم في إخضاع الثقافة العربية وتراجعها أمام الثقافة الغربية، ولم يدم هذا طويلاً، فمع استقلال الدول العربية منذ أربعينيات القرن المنصرم استرجعت الثقافة العربية شيئاً من أصولياتها بين أفرادها، وقيام حركات سياسية ثقافية زادت من نسبة الحريات الفكرية والشخصية للمجتمعات العربية، فمع انهيار المنظومة الثقافية الشيوعية، وانتشار الثقافة الغربية، عاد الاختراق الثقافي العربي وتشوهت الثقافات الوطنية والقومية على حدٍ سواء، وتفتت المجتمعات إلى طبقات وطوائف اجتماعية (بلقزيز، ٢٠٠٢، ١٣٦).

مرت الثقافة العربية في الفترات القريبة أي منذ تسعينيات القرن الماضي حتى هذه اللحظة، بالعديد من المتغيرات المتسارعة التي تحمل في طياتها إيديولوجية التتميط والاختراق الثقافي، وهي تتجلى في صياغة ثقافية عالمية مندمجة لها قيم ومعايير وسلوك وعادات، وسيطرة غربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار العلوم والتقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصالات وثورة المعلومات، الأمر الذي يؤدي إلى نشوء قيم ليس لها مرجعية في الثقافة العربية، ونظراً لكون بعض الثقافات مدعمة بوسائل تكنولوجية يقابلها في الجهة الأخرى ثقافات مجردة من تلك الوسائل يفضي هذا الواقع إلى عدم التكافؤ في تبادل العناصر الثقافية، ويبقى مجرد نقل ثقافي بين الشعوب والثقافات (بولعشب، ٢٠١٦)، وبقيت الثقافة العربية تعاني من بعض المشكلات التي تتدرج ضمن ما يتصل بالتفكير: مناهجة وأساليبه، وبالقيم التي تشكل مرتكزاته وتحدد معايير القيمة والقوانين الأخلاقية التي تحكمه (عرسا، ١٩٨٩، ١٩-٢٠).

وبالتالي تواجه الثقافة العربية مجموعة من التحديات جراء الهيمنة الغربية، التي تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، ومن هذه التحديات، (شومان، ٢٠٠٣، ٤٦-٤٧):

١- تغريب الثقافة العربية وإحلال الحضارة الغربية مكانها في قيم الفرد العربي وأفكاره، وذلك بحجة أن الثقافة العربية تقليدية فاتها قطار التجدد.

- ٢- تذويب خصوصيات الثقافة العربية المتمثلة بالعقيدة والتراث والفكر والقيم والعادات والتقاليد واللغة وغيرها من الثقافات وذلك من خلال وضع نظام ثقافي جديد يشمل صياغة ثقافة عالمية واحدة.
- ٣- توحيد ثقافة العالم في بوتقة الثقافة الغربية من خلال إزالة حدود الثقافة العربية وتحقيق السيادة الغربية عن طريق الثورة العلمية والتكنولوجية الحديثة، وشبكات الإنترنت، وتوظيف العلم والتكنولوجيا الحديثة للاختراق الثقافي، وطمس الهوية والثقافة العربية.
- ٤- خضوع الثقافة العربية للقوى الغربية وما تحويه من برامج إعلامية وسينمائية وتلفزيونية تتحاز لثقافة الغرب وتقاليدته التي تؤثر في سلوكيات الفرد العربي تؤدي بدورها إلى انحلال خلقي بين الفئات الشبابية على وجه التحديد.

فالواقع الحالي الذي نراه للثقافة العربية يعاني من التشرذم، فالسبب في ذلك هو عزوف الفرد العربي في الوقت الراهن عن قيمه وعاداته وتقاليدته المستمدة من الدين والقبلية والعشائرية وقلة الاهتمام في الموروث الثقافي الأدبي والأخلاقي واللغوي، فلا بد أن نضع حلولاً ووسائل لتحقيق أمن ثقافتنا العربية، كالاهتمام في الدين والعقيدة واللغة العربية، وتنمية الأخلاق والوعي للفئات الشبابية، ونشر روح المواطنة لديهم التي سنتناولها في المحور اللاحق.

المحور الثالث: أثر العولمة الثقافية في الهوية العربية

قبل الحديث عن أثر العولمة السلبي والإيجابي في الثقافة العربية، لا بد أن نشير إلى أن العولمة الثقافية قد أظهرت مجموعة من التحديات التي بدأت تظهر ملامحها بتبني تصورات جديدة في المنطقة العربية، وذلك من خلال طرح مبدأ حوار الحضارات والتقارب الثقافي بين المجتمعات للوصول إلى دمج كوني للثقافة العربية مع ثقافات الغرب من خلال التأثير في الأسس والمرتكزات التي تبنى عليها هذه الثقافة العربية، وبالتالي ظهرت مجموعة من التحديات التي تواجهها الثقافة العربية التي هددت مبدأ فصل السيادة الوطنية لهذه الثقافات والقضاء على الهويات والخصائص الثقافية والحضارية للشعوب العربية.

ولكن في الوقت نفسه لا نستطيع القول: إنَّ العولمة ذات تأثير سلبي محض على الثقافة العربية، بل إننا نسلم بأنَّ العولمة تحمل معاني إيجابية، ولكن إلى أي مدى يستطيع المجتمع العربي أن يجاري الإيجابيات ويتعد عن السلبيات، فإذا أحسنت الدول العربية التعامل مع العولمة شريطة أن لا تؤثر في ثقافات مجتمعاتها وأن تتكيف معها وتواكبها ستصبح بلا شك إيجابيات تعود بالأثر المنفعي والفائدة على الشعوب العربية.

إنّ الهوية الثقافية يمكن تعريفها بأنها: حصيلة العقيدة والفكر واللغة والتاريخ والفنون والآداب والتراث والقيم والعادات والتقاليد والوجدان ومعايير السلوك، وغيرها من المقومات التي تميز بها الأمم والشعوب والمجتمعات (كنعان، ٢٠٠٨، ٤٢٠)، وليس كل هذه المكونات ثابتة بل بعضها يتغير حسب المستجدات الإنسانية والحضارية التي لا تتناقص مع الثوابت الدينية والوطنية، والهوية هي العنصر الثابت والجوهر المشترك من السمات التي تميز حضارة امه عن غيرها، وهي التي تجعل للشخصية الوطنية والقومية طابعاً متميزاً عن غيرها من الشخصيات الوطنية والقومية (كايد، ٢٠١٦).

فالثقافة العربية يجب أن تكون رادعاً أمام المحاولات الغربية التي عانت منها المجتمعات العالمية، التي تقوم على فرض الفكر الغربي وسيطرته على المجتمعات، وذلك من خلال تغيير هوية هذه المجتمعات واختراقها الفكري واللغوي والثقافي، وإجبار هذا المجتمع على التواكب مع مظاهر ثقافة الغرب، فالثقافة هي جزء لا يتجزأ من السيادة، والحفاظ على الثقافة العربية هو حماية لهذه السيادة، فالتحدي الأكبر الذي يواجه المجتمع العربي هو قدرة هذا المجتمع المحافظة على خصوصيته الثقافية، وحماية المكونات والقيم التي تشكل العناصر الجوهرية للحضارة العربية والإسلامية الكبيرة (جبر، ٢٠١٦، ١٤٠).

أولاً: إيجابيات العولمة على الثقافة العربية

تحدثنا سابقاً عن أن العولمة ليست فقط سياسية واقتصادية واجتماعية، بل هي ثقافية أيضاً، الأسئلة هنا: هل أثرت العولمة الثقافية إيجابياً في الهوية العربية؟ وهل استفادت من أن توظف نتائج العولمة لصالحها؟ وهل يستفيد المجتمع العربي من العولمة الثقافية دون المساس بهويته القومية أو إهمالها وعدم الاهتمام بها؟، فكل هذه الأسئلة سنحاول أن نجيب عليها في هذا العنوان.

كما نعلم أن العولمة الثقافية قد يراها الغرب على أنها كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، مع الالتزام بالقواعد الأخلاقية الكونية، مما يؤثر في تفكير مجتمع ما بنقل تركيزه ووعيه من محيطه المجتمعي إلى محيطه العالمي مما يزيد من وعيه بعالمية العالم كوحدة بشرية، لتحل محل الولاءات والانتماءات الوطنية والقومية، وعليه فإن العولمة الثقافية قد أسهمت في نشر الحرية الكاملة من انتقال المعلومات والأفكار والرؤى والقيم والأخلاق على الصعيد العالمي، فهذا يؤدي إلى أن تصبح الثقافة العربية إحدى الثقافات العالمية الأكثر انتشاراً، وذلك من خلال تأكيد مدى استفادة العولمة الثقافية من تطور الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تنتشر من خلالها ثقافة المجتمعات (عويمر، ٢٠١١، ٤٨١).

على المستوى الديني فقد اشتملت الأديان السماوية الثلاث بما فيها الدين الإسلامي على جملة من الثوابت في مختلف مجالات الحياة، فهنا نحاول أن ربط بين محاولة التوفيق بين المفاهيم الدينية ومفاهيم العصر الحديث، فالإسلام يقر بالمرجعية في رؤية الذات للآخر، فلا يتعارض الدين الإسلامي مع معرفة الثقافات والأديان السماوية الأخرى والإطلاع عليها، فالعولمة أدت إلى نشر المبادئ الدينية بين مجتمعات العالم، وتوفير الحوار الراقى بين الأديان والحضارات، وتوفير التسامح وتقبل الدين الآخر واحترامه (التويجري، ٢٠١٥، ١٣)، مع الاحتفاظ بخصوصيات وعقيدة كل دين على صدا، والاحتفاظ بالخصوصيات الثقافية الدينية، فنقوم العولمة على توثيق الصلات بين الأديان ومعرفة العقائد التي يتميز بها كل دين، ومعرفة المجتمعات لأديان المجتمعات الأخرى، مما يوفر صبغة مشتركة من المعارف للمجتمعات بالأديان السماوية (السويدي، ٢٠١٦، ٣٩).

فهنا لا نستطيع القول بأنّ العولمة قد أضفت على الدين الإسلامي إيجابيات محددة، وإنما لا يمنع الدين الإسلامي التعرف على ثقافات الشعوب الأخرى، لأن العولمة لا تضيف للدين الإسلامي محاور جديدة من التسامح والمؤاخاة والحرية والعدل والمساواة، والسبب في ذلك بأن أصوليات ومعايير السلوك التي يحملها الدين الإسلامي في عقيدته قد نادى بها قبل نشوء العولمة، فالرابط بين العولمة والدين أو العقيدة ما هو إلا بتوافق المبادئ الدينية والعولمة على الانفتاح لمعرفة الثقافات والأديان الأخرى وتقبل ذلك في ضوء حوار الأديان دون المساس السلبي بالعقيدة الدينية.

أما بالنسبة للغة العربية فقد استفادت من العولمة بشكل إيجابي، فقد وفرت أدوات الطباعة والنسخ السريع الحديثة القدرة للباحثين والكتاب العرب على أنجاز كتبهم وبحوثهم وإعدادها إعداداً جيداً، فقد فتحت العولمة آفاقاً واسعة في الاتصال الدولي، فالتطور التكنولوجي في مجال التلفاز والراديو والفضائيات والشبكة العنكبوتية والفاكس والبريد قد أسهم في نشر اللغة العربية وزيادة استخدامها، وبالأخص انتشار الفضائيات العربية التي أسهمت بشكل كبير في نشر اللغة العربية، وطرح كثير من القضايا الأدبية والفكرية والشعرية الخاصة بها (أمارة، ٢٠١١، ٢٥)، فالعولمة زادت من نسب التواصل والتمثيل مع الآخر وتبادل الثقافات اللغوية بين المجتمع العربي والمجتمعات الأخرى (عزازي، ٢٠١٤، ١٧٠).

أما على المستوى التكنولوجي والإعلامي فقد أضفت العولمة عنصراً إيجابياً في اكتساب الثقافة العربية نوعاً من التقدم في البحث العلمي والتقدم التكنولوجي والتقني في مجال الإعلام فأسهمت وسائل الإعلام والتكنولوجيا إلى بالانفتاح الفكري والثقافي للمجتمع العربي وتقبله الأفكار الثقافية الأخرى، ودخول نوع من الأنماط السلوكية الحديثة كالفنونات الفضائية والشبكة العنكبوتية، وإدخال نوع من التحرر الفكري بين المجتمعات وذلك لتطوير الكتابة ونشر الأفكار التي تحملها المجتمعات الأخرى في الكتب

والمجلات، فيستطيع المجتمع العربي أن يطور ثقافته العربية من خلال وسائل العولمة الثقافية كنشر المبادئ والقيم والمعتقدات التي تسهم في الاهتمام العربي في إرثه الثقافي (ياسين، ٢٠١٢، ٥١).

تؤثر العولمة إيجابيا في مجال التعليم والتربية، فالعولمة أدت إلى توثيق العلاقة بين النظم التعليمية التربوية والنظم الأخرى كالنظام الاقتصادي والسياسي، لأن النظام التعليمي مرتبط بالعولمة ويتحكم بالتأثير في البيئة المحلية من خلال امتداد هذا التأثير في المستوى العالمي، وجعل النظام التعليمي والتربوي نظاماً مفتوحاً يتأثر إيجابياً بجملة من التغيرات المختلفة التي تؤثر في عناصر المدخلات، وعملية المدخلات في المجتمع العربي، مما يولد ثقافة علمية منفتحة على الثقافات الأخرى نتأى بالإنسان العربي عن التفوق على نفسه في بيئة معزولة عن البيئة الخارجية ليستطيع التواكب والتأقلم مع متطلبات ومتغيرات الحياة، فأصبحت الحقوق التربوية والعلمية في ظل العولمة لها مكانتها على المستوى المؤسساتي بهدف تمثيل ثقافة الأفراد والشعوب لدعم المعارف الخاصة بهم، ولاحترام الحقوق الثقافية الأخرى، حيث تؤكد كثير من الدراسات ضعف أداء المؤسسات التربوية والتعليمية العربية في إعداد المعلمين وتأهيل الفتيات والشباب ثقافياً وتربوياً، ولذلك تمت إعادة النظم التعليمية وتغيير المناهج لانتاج نفسها من جديد ومسايرة للتطور المعرفي والحضاري للعولمة التي تجري سريعاً، حيث لم يعد التعليم التقليدي هو المصدر الوحيد للعلم والمعرفة، ولم يعد المعلم هو الناقل لها، فهناك مصادر متعددة للأدوات المعرفية التي يحسن تطويرها في المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات (حسين، ٢٠١٠، ٥).

أعطت العولمة جانبا إيجابيا بعض الشيء بالتأثير في القيم والمعتقدات، فقد حملت العولمة في طياتها نسقا مركبا من التراث والتاريخ والمعتقدات والتقاليد والقيم التي تتميز بها المجتمعات، حيث أدت إلى وضع النظام العالمي ضمن تقاليد وقيم موحدة نموذجية لا تقبل التمايز ولا الخصوصية، فأعطت جانبا على قبول فكرة التحديث والتغيير في القيم والمفاهيم والأفكار الثابتة لديها (ياسين، ٢٠١٢، ٤٦)، كما أدت العولمة إلى كسب الثقافة العربية نوعا من الاتصال والشراكة الثقافية في قيمها وتقاليدها مع الثقافات الأخرى من خلال الاتصال المباشر والحر بين المؤسسات والأفراد والاعتراف بالتعددية الثقافية للأمم في العالم الدولي (زغو، ٢٠١٠، ٦).

ثانياً: سلبيات العولمة على الثقافة العربية

يعدّ الغزو الثقافي من أخطر جوانب العولمة التي تؤثر في المجتمعات، وهو اعتداء على الهوية الثقافية للأمم المعتمد على، فالعولمة التي تغزو المجتمع العربي لم تستهدف البنية الاقتصادية والسياسية فحسب بل تعدت ذلك بالقضاء على بنيتها الثقافية، خصوصا الأفكار التي تقبل التحدي

والاستمرار والمقاومة، فهي تغزو سيادة الدولة دون أخذ إذن من الأمم المتحدة، فكأنها أسلحة دمار شامل تترك أثراً سلبياً كبيراً على المجتمعات والدول التي تحتاج معه إلى مدة طويلة من الزمن للتعاطي.

فمنذ الاستعمار التقليدي حتى الاستعمار الكولونيالي وصولاً إلى الغزو الثقافي الحالي، قد تختلف الآليات التي تستخدم للغزو الثقافي على مجتمع ما، وإنما الهدف واحد تطور بتوظيف الإعلام والثقافة في مجتمعات العالم الثالث، ولا سيما المجتمع العربي منها، لإعادة صياغة التبعية الاقتصادية ووضع إمكانياتها الثقافية في خدمة مصالح الدول المصدرة للعولمة ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي نريد أن نوضح أهم الآثار السلبية للعولمة على الثقافة العربية والكشف عن أهم الآثار الناتجة عن الاتصال الثقافي والاجتماعي بين العولمة وثقافتها والمجتمع العربي وثقافته.

يعد مصطلح العولمة الثقافية مصطلحاً حديثاً نسبياً، فأول من استخدم هذا المصطلح هو مستشار الرئيس كارتر زيبغنيو بريجينسكي سنة ١٩٨٠ في كتابه أمريكا والعصر الإلكتروني الذي أشار به إلى ضرورة قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مصطلح كوني للحدث يحمل قيماً أمريكية ترتكز على الحرية وحقوق الإنسان قائمة على التحديث والترقي والانفتاح الثقافي ليشمل ضرورة تحديث متطلبات الحياة في الجوانب الإنسانية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية (كايد، ٢٠١٧).

عُدَّت العولمة الثقافية فيما قد تنشر في العالم، وذلك كما صرح جورج بوش الأب في مقولاته بأنها المؤثر الأقوى في نشر النمط الأمريكي (الأمركه)، حيث قال: إن ما فعلته الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية قد يصعدها على المستوى الثقافي علاوة على الجانب السياسي والاقتصادي، حيث إن العالم سيشهد انتشاراً للقيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي، والسيطرة على الأمم واستغلالها دون القضاء عليها (القاسم، ٢٠٠٤، ٤٤٥).

وهنا يمكن القول بأن فرض النموذج الثقافي الأمريكي للحياة والاستهلاك والتصور قد نجح في اختراقه للثقافة العربية وتوليد رؤى سلبية على الإبداع الفكري والابتكار الذاتي للفرد العربي، وخفف من مقاييس الانتماء، وهذا ما سماه علماء الحضارات بالصناعة الثقافية، وهو مصطلح ظهر لأول مرة سنة ١٩٤٧ على يد تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر وهو تهديد معتبر للثقافات التقليدية في اتباع نمط ثقافي آخر قد يهلك الثقافات والقيم والعادات التربوية الاصلية في مجتمع ما (زمام، ٢٠٠١، ١٤٥).

يعدّ الاتصال الثقافي والاجتماعي بين ثقافة العولمة والثقافة العربية اتصالاً غير متكافئ، بسبب اختراق العولمة للقومية تدريجياً، الأمر الذي يشكل عائقاً لصعود الهوية العربية ونمط الحياة بها، مما يمكن عدّه نفيّاً تاماً لحضارتنا وتقويض سيادة الوطنية في الدول العربية الأقل تطوراً منها، وبالتالي يعدّ الخطر الأيدولوجي والسيطرة على الوعي والإدراك للفرد العربي واخضاع نفوسهم لثقافة الغير تكريساً

لاتباع حضارة غيرهم والولوع بها مما يضعف دور الثقافة العربية في نمط حياة الفرد العربي (التويجري، ٢٠١٥، ٢٢).

تضطلع العولمة الثقافية بالتأثير في عقيدة الألوهية عند المسلمين وما يعتبروه بالرؤية الإسلامية التقليدية، فمن الناحية الدينية قد تعطي العولمة من خلال فلسفتها والأسس المادية التي تقوم عليها مبادئ لفصل الدين عن الحياة، وقد تبعد الإنسان عن سبب وجوده وإضعاف صلته بربه، فالعولمة حسب رأيهم تقوم بتحرر الإنسان من كافة القيود والتسليم والتواكب مع واقع الحياة، فالعولمة آثارها السلبية كثيرة إزاء الجانب الديني لأنها تحمل مفاهيم كثيرة قد تغير نظرة الفرد العربي للكون والإنسان نفسه والحياة وعلاقة المسلمين العرب برهيم كظهور مصطلح الإرهاب والإسلامافوبيا اللذين أوهما العالم بأنه دين عصبي لا يعرف إلا لغة الدم، والبحث عن مفاهيم أخرى كالتحديث والتطور والبحث عن الميزات والشهرة والمال والثروة مما تعكس تهديدا للنظام الأخلاقي الإسلامي (السويدي، ٢٠١٦، ٣٨).

فالعولمة تؤثر في المبادئ والأحكام والشريعة الإسلامية في كثير من الجوانب، فمثلا تفرض العولمة مفاهيم المساواة بين الرجل والمرأة وإزالة جميع الفوارق بينهما، وهذا ما نصت عليه اتفاقية سيداو عام ١٩٧٩ التي جاءت تحمل مبادئ إزالة جميع أشكال التمييز الجنسي النوعي بين الرجل والمرأة التساوي في الميراث وعدم الزواج من أربع، وعدم تقيد العصمة بيد الرجل كلها معايير قد تنفي الفقه الإسلامي، قد اضطلعت العولمة أيضا بأبعاد الفرد العربي عن فقه السنن الإلهية من خلال التأثير في العلم الديني الفقهي ووصفة بالرجعي والمتخلف في تطبيقاته للقانون والأخلاق والعبادات والمعاملات، ورفع الدين كعقيدة للدولة وجعلها أكثر مدنية وتحضرا، وأثرت في دور علماء الدين في العقيدة، فكما كان هؤلاء العلماء مصدرا للهيبة والوقار وذوي مكانة دينية وسياسية يستمد منه الحاكم والسلطان صفة قراراته، أصبحوا مبتعدين كل البعد عن ذلك وهذا أحد مبادئ فصل الدين عن الدولة، فأصبح حقلهم العلمي مغلقا ضمن الفقه والانشغال في الأحكام والأصوليات التي تخص معاملات المسلمين فقط (عبد الرحمن وآخرون، ٢٠٠٢، ٥٠).

فالدين عامل مهم ومؤثر في ثقافة المجتمع العربي، فكان همّ الغرب يتجه إلى نزع معاني القيم الدينية الأخلاقية فيه، فيرجع السبب في ذلك إلى معرفتهم لمدى صحة عقائد هذا الدين وسلامته، فبدأوا بتشويش العالم العربي والإسلامي بإدخال مجموعة من المفاهيم التي جعلت من الفرد المسلم لا يميز بين الحرام والحلال، فالربا والفواحش الجنسية وغيرها، والاختلاط وقطع الأرحام وتشوية صورة العالم الإسلامي بالإرهاب الذي رسم صورة للعالم أجمع توهم بأنه دين إرهاب على الرغم من أنه لا يمت للإرهاب بصلة، ولكن غزو الغرب للثقافة الدينية قد نوب المعاني الدينية والقيم الحميدة في حياة الفرد العربي.

يتميز العالم بتزايد التنوع الثقافي الهائل في أوساطه فضلاً عن أنه يزخر بما يقارب ستة آلاف لغة، غير أنّ المستخدم منها على مستوى العالم ثلاث لغات فقط يتحدث بها ٩٢% من سكان العالم وهذا حسب تقدير منظمة اليونسكو التي تعد إحدى أدوات ووسائل العولمة الثقافية للمجتمعات (ياسين، ٢٠٠١، ٥٥)، فاللغة هي أساس الثقافة لأي أمه، فاللغة العربية هي أصل هوية الشعوب العربية، التي انتشرت بوصفها مركباً أساسياً لتكوين الأمة العربية ومركزاً لتوحيد العرب، فدور اللغة العربية الموحد يفسر النداء الذي أطلقه مناصرو القومية لحماية اللغة العربية من إهمال متحدثيها لها واستقبالهم لممارسات لغوية للغات أجنبية أخرى (إمارة، ٢٠١١، ٢٦).

فتعد العولمة اللغوية منافسا للحضارة الغربية، فأكبر تحدي للعولمة فيما يخص جانب اللغة هو صنع مفاهيم ومصطلحات جديدة لم يتداولها المجتمع العربي، والاعتراف باللغات الأجنبية لغة رسمية للدولة بجانب اللغة الأم، فيتم تدويل اللغات الأجنبية ولا سيما اللغة الإنجليزية في المناهج التدريسية من المدرسة وصولاً للجامعات وخصوصاً الكليات العلمية والطبية منها، فمسحت العولمة مفاهيم القيم اللغوية للمجتمع العربي (عزاري، ٢٠١٤، ١٧٢)، وبالتالي دفعت العولمة المجتمع العربي لإهمالها في الحياة العامة مما زاد من عزوف الأقطار العربية من الاهتمام وإصدار المعاجم العربية التي تسهم في تطوير اللغة العربية ومعرفة لغات العالم، فتم تحويلها إلى لغة فقيرة لا يهتم بها إلا من يرتبط بالعبادات الدينية (مجموعة الخبراء المغاربة، ٢٠١٢، ٨-٩).

كما ذكرت سابقاً حول أنّ العولمة خطر على الدين والعقيدة، فإنها فيما يخص اللغة لا تقل خطورة أيضاً، فقد أظهرت العولمة في بيئاتنا اللغوية على المستوى اللهجي المحكي وعلى المستوى الفصيح المتمثل بلغة الإعلام والصحافة بعض المفاهيم والمصطلحات التي يتداولها الفرد العربي في مقابل المصطلح الأصيل في لغته، وهي مصطلحات لا تمت بصلة إلى اللغة العربية، كالتليفون والإنترنت والأكاديمية ودكتوراه وكمبيوتر وتكسي وتشات وفورمات وديمقراطية والإلكترونيات وبيبيسي وميرندا وسفن أب ورد بول وجينز وتيشيرت، ولم يقف الأمر على هذا بل تم استخدام مختصرات إنجليزية على بعض الشركات العربية مثل (ايسيسكو-سابتكو-آرامكو)، واستبدال التقويم الميلادي بالتقويم الهجري، حتى وصل الأمر إلى الحديث اليومي كالتحيات الصباحية والمسائية والحديث اليومي (هالو-هاي-بنجور-نايس-هاي مان-اوكي-برافو-باي)، واستخدام الأرقام الأجنبية كدلالة للأحرف العربية فمثلاً رقم (3) كدلالة على حرف العين، و(٧) دلالة على حرف الحاء، فأصبحنا نفتقد اللغة العربية في حياتنا اليومية ومن يتحدث بها قد ينظر إليه على أنه رجعي ومتخلف.

أثرت العولمة بشكل كبير في الجانب الاجتماعي خصوصاً القيم والمعتقدات والتقاليد في المجتمع العربي، إذ ركزت العولمة على تفكك المجتمع برفع الأخلاق عنه وقطع الانتماءات، وتذويب دور الأسرة في زرع القيم والمبادئ الأخلاقية والتربوية في الفرد، وبث المشاكل وقطع الأرحام وقطع صلات النسب والإرث الشرعي فيها، فولد هذا كله القضاء على القوميات في المجتمع العربي وتحويلها إلى كيانات ضعيفة وذلك من خلال إيجاد مبررات للنزعات العرقية والطائفية لتذويب معاني التطور الحضاري، وإنشاء هيكلية من التفكك والتشتت والتشردم وزيادة النزعات القبلية والعرقية والدينية الطائفية وطمس المعالم القيمة للثقافة العربية، وأيضاً زادت العولمة من نسبة التباين الطبقي للمجتمع فزادت نسبة الطبقة (فقير وغني)، وامتلاك فئة قليلة غنية لثروات المجتمع، وازدياد رقة الطبقة الفقيرة (ياسين، ٢٠١٢، ٥٣)، ولا ننسى التأثير السلبي للعولمة على مفهوم المواطنة والانتماء والولاء للدولة والانتماء الجغرافي لأفراد المجتمع العربي، إذ نفوا مفهوم حب الوطن وغدو فكرة تقسيم الاوطان العربية، وتغيير وعي الفرد العربي من الإنتماء للدولة إلى الإنتماء للعالم، وذلك من خلال نزع الوجدان والجانب الروحي والنفسي والفكري وصياغة فكر يقوم على حب الذات والفردانية والتبعية المادية (كاظم، ٢٠٠٩، ٢٦٣) .

أما على المستوى العلمي والتربوي فهيمنت العولمة في التأثير في القيم العلمية والتربوية في المجتمع العربي وفقاً للتطور العالمي الديمقراطي، فأدت إلى ضعف أنماط التعليم في المؤسسات التعليمية وذلك بتغيير المنهج الأيدولوجي للطلبة من خلال تغيير الأصوليات والقيم التي تزيد من التمسك بالثقافة العربية في المناهج الدراسية، كحذف مادة التربية الإسلامية في المدارس، وتغيير المصطلحات القومية إلى مصطلحات تواكب التطور العلمي، مما ولد ضعفاً في القدرات الإبداعية الابتكارية وزيادة تهميش الأطر القيمة الخلقية في نفوس الطلبة، فأدى هذا كله إلى خلق جيل جديد يتسم بندرة المعرفة بقيمة الثقافة الاخلاقية وأبعادها فضلاً عن التمسك بعبادته سواء الدينية أو القبلية وانحلال معاني الولاء والانتماء والمواطنة للدولة، فنقص الدور التربوي لهذه الفئة الشبابية في الجامعات والمدارس قد تبني جيلاً فاقداً لثقافته متأثراً بالثقافة الكونية للمجتمعات المصدرة للعولمة، فتزداد على غرار ذلك هجرة الكفاءات والعقول العلمية إلى خارج المجتمع العربي، الذي أثر في النظام التعليمي سلماً، فأوجد تعارضاً بين الأجيال في المجتمع العربي من التاطير والتوجيه والتعليم في فترة اعتماد الدولة على خصوصيتها، واعتمادها على خصوصية البرامج المستوردة، ومنه يكون التناقض في المجتمع بين الجيل الكبير والصغير، وينتج عن تغيير المنظومة التربوية تغيير المنظومة القانونية المنظمة لها (بلغيث، ٢٠١٣، ٣٥٩) .

وحتى على المستوى الإعلامي والتكنولوجي، فسيطرة الولايات المتحدة على وسائل الإعلام قد يزيد من نشر ثقافتها إزاء المجتمع العربي، فأصبح المجتمع العربي تطفى عليه طباع الغرب في المأكّل والملبس والموسيقا والمشرب، ومشاهدة الأفلام والمسلسلات، واستهلاك السلع الأمريكية مما زاد من تفسخ

الخصوصية الثقافية العربية، وذلك من خلال توفر عنصر اللذة وكبح الأخلاق والقيم والمعتقدات الحميدة وتشريع أبواب الإباحية لاحتقار عفة المسلم وكرامة الإنسان العربي (زغو، ٢٠١٠، ٩٨).

وفي نهاية المطاف ما بوسعي إلا أن أقول إن ما يعترى الثقافة العربية من سلبيات قد حطت من المستوى الديني والأخلاقي والمعرفي والاجتماعي والتربوي والتعليمي سببه التراجع العربي في كافة الميادين السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية، فقد عكس هذا كله على التنمية الشاملة والعمارة والنمو والتقدم والتطور، فلو ازدهر العرب في الميادين التي ذكرتها وسيطروا عليها، لانتشرت الثقافة العربية بين ثقافات العالم، ولأخذ الغرب بها وتقلدها بحياتهم اليومية، ولارتقينا وتبوأنا المكانة اللائقة بين الأمم، فنكون السيادة الثقافية لنا والتبعية لهم، ولكن سنبقى تابعين ما دام عنصر التراجع وعدم الوعي والإدراك محاصراً للأمة العربية.

ولكن إذا أردنا أن نستفيد من الجوانب الإيجابية للعولمة على الثقافة العربية تحقيق الأمن الثقافي العربي سيكون أمامنا طائفة من المتطلبات والحلول ذات الأهمية الكبيرة وهي:

أولاً: ترسيخ العقيدة الدينية الصحيحة التي تمتد جذورها التاريخيه في المجتمع العربي، حيث العمل على أن تكون العقيدة الدينية مرجعاً لكل أمور الدنيا المختلفه والمتعدده، والتي تعتمد على إذابة الفوارق بين البشر، وذلك من خلال ترسيخ العدل والمساواه والتوافق والتكامل والسمو بالروح، وتبني الإيمان بالعالم على أنه نواة الحياه والتشدد بفرض فكر العقيدة وذلك بإرساء قواعد الدين الصحيح من المرحلة الأولى في حياة الإنسان وهي الطفولة وصولاً إلى الشباب وكسبهم للتثنية والتوعية الدينية بأساليب تقرب من فكرهم وسلوكهم مع طرح القضايا الدينية التي تثير الجدل والنقاش وترسيخ فكرة إنهاء العنف بكافة أشكاله في التعامل مع طوائف وطبقات المجتمع المختلفة وصولاً إلى ترسيخ معاني الديمقراطية والتعايش السلمي وحماية المجتمع من الانتهاكات بكافة مستوياتها وذلك للوصول إلى نتيجة سلمية لحماية امن الثقافة العربية.

ثانياً: حماية اللغة العربية التي تنحدر منها اللغات الأخرى، فاللغة العربية هوية تاريخية للمجتمع العربي يجب عدم التخلي عنها لصالح لغة العولمة التي أصبح المجتمع العربي يتداولها في حياته اليومية، فاللغة العربية ذات الأصولية والتأثير تحتوي على معاني وتفسيرات لا تتواجد في اللغات الأخرى، فهي لغة حية تتميز بمفرداتها وتواكب كل التغيرات في أي مرحلة زمنية، وبالتالي يجب على المجتمع العربي أن يتجنب العزوف عن هذه اللغة من خلال نشر الوعي بارتباط اللغة الوثيق بهويتنا العربية واعتبارها مؤثراً إيجابياً متميزاً للأمن القومي العربي، واعتبارها العامل الرئيسي لوحدة الأمة العربية ضد الاستعمار الفكري (القاسم، ٢٠٠٤، ٤٦١-٤٦٢).

ثالثاً: نشر روح المواطنة التي تعد أساس العلاقة الإيجابية بين الفرد والمجتمع، فهي رابط إنمائي اجتماعي يقوم بالوعي التام والتمسك بالهوية والتراث وحب الوطن والتعاون، ولا يتم ذلك إلا من خلال سن القوانين التي تحدد حدود المواطنة للأفراد التي يستطيع الفرد العربي من خلالها أن يقوم على حماية الملكية الفكرية والإبداعية لمجتمعة (كاظم، ٢٠٠٩، ٢٥٦)، فالمواطنة أساس الإنتماء، فلا يمكن السعي وراء احترام الأقليات والمكونات العرقية بالدولة إلا باحترام معاني الإنتماء والولاء والإيمان بضرورة التعايش السلمي والتعاون (مجموعة الخبراء المغاربية، ٢٠١٢، ١٠).

رابعاً: تنمية الوعي الأخلاقي والسلوكي وتعزيز معاني القيم والعادات الحميدة لدى أفراد المجتمع العربي، فهي ضرورة من ضرورات تنظيم المجتمع وذلك لتجنب التفرقة بين أفرادها وعدم السماح للعنف وأساليب القضاء على القيم الأخلاقية للحضارة العربية، فالأخلاق هي لغة الأجيال ونقطة التقاء الأفكار بين الأجيال، وكما نلاحظ إن أزمة المجتمعات المعاصرة سببها الغزو الثقافي للأخلاق عبر وسائل الإعلام، والتركيز على ربطها بالمناهج والمواد الهامة والرئيسية في جميع المراحل التعليمية لأنها حجر الأساس الذي يقوم عليه التبادل العلمي والخبرات التكنولوجية الحديثة.

خامساً: التركيز على أهمية التكامل الاقتصادي لمحاربة العولمة من تفكك الروابط الاجتماعية والاقتصادية ومنع الضعف الأمني العربي لفرض الرأسمالية والليبرالية العالمية التي تنهي في قراراتها الهوية العربية، وتستبدل النموذج الغربي بالتنمية البشرية والقدرة على مواجهة خطر العولمة من استنزاف مواردنا المهمة (جبر، ٢٠١٦، ١٤٣-١٤٤).

سادساً: تسخير وسائل الاتصال والتكنولوجيا والدعاية والإعلام لخدمة المجتمع العربي، وذلك من خلال نشر المبادئ والحقائق الإسلامية والعربية ذات القيم الحضارية التي تنظم العلاقة بين العباد وخالقهم، وبين الأفراد مع بعضهم بعضاً لقولة تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (الحجرات، الآية ١٣)، وبث السعادة الدنيوية والأخروية في قلوب المجتمع وإيصال رسالة الإسلام وما يحمله من توعية للبشر قد يتم استثماره على حساب مبادئ العولمة التي توهم المجتمع على أنها رسالة نمو توعوية (القاسم، ٢٠٠٤، ٤٦٨-٤٦٦).

المحور الرابع: النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

أدى التراجع العربي في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى فقدانهم نوعاً من التراجع الحضاري، من خلال ما تفرضه العولمة عليها من تحدّيات غير مسبوقه، تدفعها إلى أن تعيد تأمل إمكاناتها لاكتشاف مدى قدرتها على الحركة في عالم ليس من صنعها، ولا تملك سوى مواجهته بكلّ تناقضاته، وبالتالي توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها:

بخصوص الفرضيات التي انطلقت منها الدراسة، فقد توصلت الدراسة إلى صدق هذه الفرضيات، فزيادة تلقي المجتمع العربي للعولمة الثقافية زاد من نسبة تراجع هويته وعدم التقيد بها، فيعود ذلك إلى ضعف الارتباط العربي بقيمه وعاداته وتقاليدته والالتزام بها كعادات وقيم وتقاليد تستمد من الدين والعرف القبلي أو العشائري، فالعرب لا يمتلكون القدرة على كسب ثقافتهم والتشدد بها وذلك لضعف التقيد الديني بالدرجة الأولى، إضافة إلى ضعف العرب اقتصادياً وسياسياً مقارنة مع الولايات المتحدة والدول الغربية، فزيادة القوة الاقتصادية والسياسية قد تزيد من نسبة تدفق ثقافتهم وترسيخها في مجتمعات العالم، أضف إلى ذلك سيطرة الولايات المتحدة على وسائل الإعلام والوسائل الهامة لنقل ثقافتهم وقيمهم للمجتمع العربي والعالم أجمع، فنجحت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية بإيصال منتجاتها وأفكارها ونظرياتها للمجتمع العربي.

أما بالنسبة للجانب السلبي والإيجابي للعولمة فتتراوح المواقف العربية تجاه العولمة بين أولئك الراضين الذين يدقون ناقوس الخطر وما يتضمّنه ذلك من محاولات الإنكفاء الذاتي، وبين التوفيقيين الذين يتطلعون إلى (التواصل الثقافي)، وليس من شك في أنّ الثقافة العربية تتعرّض لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة، إذ تمثل العولمة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة للثقافة العربية، وهذه الخطوة لا تتأتى من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما من الآليات والأدوات التي تستخدم لفرضها. فالعولمة ظاهرة تلغي الدولة والوطن والأمة، وتسهم في القضاء على الهوية القومية والوطنية، ومكمن الخطر هو في طمس الهوية والخصوصية الثقافية العربية، واجتثاث الثقافة العربية وتغييبها وإحلال الثقافة الأميركية محلها.

ثانياً: التوصيات

بعد توضيح أثر العولمة الثقافية في الهوية العربية، وما تخللها من سلبيات زادت من نسبة الإيجابيات في تأثيرها في المجتمع العربي، سنحاول في هذه الدراسة أن يقدم مجموعة من التوصيات التي نأمل أن تزيد من نسبة اهتمام الفرد العربي بهويته وثقافته، وهي كما يلي:

أولاً: نهوض الأمة العربية في شتى الميادين الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ومحاربة أسباب التراجع والتخلف والفساد، وذلك من خلال إيمان الفرد العربي بأنه غير عاجز وقادر على تغيير ذلك، لنولد مجتمعاً قادراً على التكيف مع متغيرات ومستلزمات الحياة، وليصبح مجتمعاً قادراً على مواجهة المجتمعات المتطورة الأخرى في هذه المجالات وقدرته على إثبات نفسه في العالم أجمع.

ثانياً: ترسيخ الهوية العربية والإسلامية داخل نفوس أفراد المجتمع العربي من خلال العودة إلى القيم والعادات والتقاليد الدينية، وتربية الأمة العربية على العقيدة الإسلامية التي تجعل من الفرد المسلم ملتزماً في قيمة ومبادئ التي يصعب عليه تغييرها، والتركيز على القيم الأخلاقية والتربوية التي تزيد من عزة المجتمع العربي والإسلامي، وتزويد الفرد العربي بالقيم الدينية السمة والقيم الأخلاقية والروحية والوجدانية التي تسهم جميعها في فرض ثقافة غير قابلة للاختراق.

ثالثاً: التعرف على العولمة الثقافية وكشف مواطن القوة والضعف بها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية صحيحة، وإدراك وفهم التناقضات في فكر العولمة، وذلك من خلال مواكبة عمليات النقد للحضارة الغربية والإحساس بصبغة الضعف لديهم في ثقافتهم ومعتقداتهم، والوصول إلى مرحلة اليقين بأن الثقافة العربية والإسلامية هي عالمية بصفاتها، وهي الأصلح بين الثقافات العالمية من حيث التطبيق والنظرية.

رابعاً: العناية والاهتمام باللغة العربية الفصحى والتوسع في استخدامها، من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتدرسيها والتركيز عليها في المراحل التعليمية في المدارس والجامعات، وترجمة العلوم التي تحتوي على لغات أخرى إلى اللغة العربية مع الاهتمام في توحيد المصطلحات العربية ونبد المصطلحات ذات الأصول الغربية وعدم التكلم بها.

خامساً: إعادة النظر في بناء مناهج التربية والتعليم في المدارس والجامعات والمعاهد والكليات وغيرها من مؤسسات التعليم وفق الأطر الثقافية اللازمة لتطوير هذه الفئة العمرية، حيث تصبح مؤهلة في مواجهة الثقافة الغربية وقادرة على التأقلم معها وأخذ ما هو إيجابي منها ورفض ما هو سلبي، مع الحفاظ على القيم الثقافية العربية.

سادساً: الاهتمام بدور الأسرة على ترسيخ المبادئ والقيم الثقافية العربية للأسرة الدعامة الأساسية في بناء الأجيال الأكثر قرباً للقيم والعادات الحسنة، وقدرتها على إنشاء جيل قادر على التواصل الاجتماعي والاحتكاك بالثقافات الأخرى، وتشجيع الأبناء أيضاً على الحوار وعدم التعصب للرأي واحترام الطرف الآخر.

سابعاً: الاهتمام بالقيم والعادات والتقاليد والثقافات التي تعد من ركائز الهوية الدينية والعربية، كالحفاظ على مبادئ سمو الأخلاق والتربية وصلة الأرحام والتسامح والعفو وإكرام الآخرين والتعاون ومساعدة المحتاج وإقامة العدل والمساواة وعدم الغش والابتعاد عن الفواحش وسوء الخلق، وايضا الحفاظ على طقوس الزواج والموت وبعض العادات والتقاليد التي تعد رئيسية في حياتنا اليومية.

ثامناً: إعادة بناء السياسات الإعلامية على جميع الأصعدة والوسائل لتمثيل الثقافة العربية ولنكون قادرين على التمسك بهذه الثقافة، من خلال قيام وسائل الإعلام بواجبها بالحفاظ على الهوية ودعمها مع التركيز على دور العلماء وقادة الرأي في ذلك.

تاسعاً: الاهتمام بالشباب ورعايتهم وتزويدهم بمستجدات العصر ومتغيراته، مع ضرورة المحافظة على الهوية الثقافية وتراث الأمة وقيمها العربية الأصيلة، وذلك من خلال إقامة الندوات والمحاضرات التي تتناول هذه المستجدات، ومناقشة ظواهر العولمة الثقافية وأثرها في وطننا العربي، وتعميق هذه المفاهيم من خلال الحوار المفتوح بين الفئات الشبابية وقبول فكرهم ودوافع حرياتهم والاهتمام بها.

عاشراً: تنمية الشعور بمظاهر الولاء والانتماء للقومية العربية وللوطن، فمعاني الولاء والانتماء من المقومات الأساسية التي تزيد من نسبة المواطنة والتمسك بقيم الوطن والأمة العربية.

المراجع

الكتب

- أبو إصبع، صالح، العولمة والهوية: أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ط٢، ٢٠٠٢.
- التويجري، عبد العزيز، الهوية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ط٢، ٢٠١٥.
- الصاوي، علي السيد وآخرون، نظرية الثقافة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧.
- العايد، حسن، أثر العولمة في الثقافة العربية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- العقاد، عباس محمود، الثقافة العربية، مركز هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣.
- أمين، سمير، ثقافة العولمة وعولمة العالم، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٩.
- بلقرين، عبدالأله، العولمة والممانعة: دراسات في المسألة الثقافية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٢.
- جلال، أمين، العولمة وماهيتها، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.
- حجازي، أحمد مجدي، الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.
- حربي، خالد، العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٠.
- حسين، أحمد ضياء، العلوم الإسلامية والعولمة الثقافية: دور الدراسات الإسلامية في المجتمع الدولي، جامعة الأمير سونجكلا، تايلاند، ٢٠١٠.
- دجاني، نبيل، الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٤.
- ربيع، محمد، الثقافة وأزمة الهوية العربية، منتدى الفكر العربي، عمان، ط١، ٢٠١٠.
- روبرتسون، رونالد، العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.
- شومان، جمان، الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة الثقافية، دار الشجرة للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.
- عبد الرحمن وآخرون، الإسلام والعولمة، مكتبة ومطبعة الأشعاع الفني، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٢.
- عبد الغني، أمين، الثقافة العربية والفضائيات: رؤية إعلامية من منظور منهجية التحليل الثقافي، آيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.
- عبد الملك، أنور، في الثقافة العربية والتنمية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩٣.
- عرسان، علي، مشكلات في الثقافة العربية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد، دمشق، ١٩٨٩.
- فارنبيي، جان بيير، عولمة الثقافة، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ليكر، جيرار، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤.

مرسي، محمد، الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية، مكتبة العبيكات للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٥.

الدوريات:

السويدي، جمال، قضايا الهوية في الإسلام المعاصر، مجلة رؤى إستراتيجية: مجلة دورية يصدرها مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات، المجلد الثالث، العدد الثاني عشر، ٢٠١٦.

القاسم، خالد، العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، السعودية، المجلد السادس، العدد الحادي عشر، ٢٠٠٤.

إمارة، محمد، اللغة والهوية: تأثيرات التداخيات على التعليم العربي في إسرائيل، المركز العربي لحقوق والسياسات، الناصرة، العدد الرابع، ٢٠١٠.

بلغيث، سلطان، مظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تيسه، الجزائر، المجلد الخامس، العدد الرابع، ٢٠١٣.

جبر، نهلة، الأمن الثقافي: مفهومه ودواعيه وعوامل تحقيقه، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد مئة وتسعة وستون، ٢٠١٦.

جرادات، عبد الناصر، قراءات في العولمة وأثرها على دول وشعوب العالم، مجلة كلية إدارة الأعمال، جامعة الجنان، لبنان، العدد الأول، ٢٠١٢.

زغو، محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية لجامعة حسيبة بن علي، الجزائر، المجلد الثاني، العدد الرابع، ٢٠١٠.

زمام، نور الدين، عولمة الثقافة بين المستحيل والممكن، مجلة كلية الآداب والعلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، مجلد الأول، العدد الأول، ٢٠٠١.

عويمر، وليد، أثر العولمة على اللغة العربية، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، الأردن، مجلد الثامن والثلاثون، العدد الثاني، ٢٠٠١.

عزازي، فاتن، تأثير لغة التعليم على الهوية لدى الطلاب، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، الأردن، المجلد الثالث، العدد العاشر، ٢٠١٤.

كاظم، نائر، العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الثامن، بغداد، العدد الأول، ٢٠٠٩.

كنعان، أحمد علي، الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجيدة، مجلة دمشق للعلوم التربوية، دمشق، المجلد الرابع والعشرون، العدد الرابع، ٢٠٠٨.

ياسين، آمنه، العولمة الثقافية وتأثيرها على الهوية الشبابية والمراهقين الجزائريين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، المجلد الثالث، العدد الثامن، ٢٠١٢.

مواقع الانترنت:

الواتلي، عامر، (٢٠١٧)، الأصالة والثقافة: التوزيع الثقافي وحوار الحضارات، صحيفة العرب الثقافية، متوفر على: www.alarab.co.uk

بولعشب، حكيمه، (٢٠١٦)، تحديات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، متوفر على: www.aranthropos.com

كايد، سليمان، (٢٠١٦)، دور الجامعات في مواجهة تحديات العولمة الثقافية وبناء الهوية العربية الأصيلة والمعاصرة، متوفر على: [Htte//www.iou.edu](http://Htte/www.iou.edu)